في اكثر اطرها اكتمالا ، وانما ايضا في ما كانت تعلنه من حد اقصى لاكتمال مخاطر هذا السفر بالذات ، مخاطر القطيعة النهائية بالارض والتاريخ : الخيانة والعجز والموت ٠

فلنتبين بالتفصيل قيام هذه الدلالات بالذات في تلك التجربة والابعاد التي تأخذها في النص الروائي ٠

بعد تجاوز مركز الحدود العراقي في صفوان وخروج ــ او بالاحرى اخراج ــ المسافرين الثلاثة من الخزان ، يبدو هؤلاء اشبه بالموتى ٠ فوجوههم تبدو لابي الخيزران « وجوها » صفراء محنطة ، ولولا ان صدر مروان كان يرتفع ويهبط ، ولولا ان اباقيس كان يتنفس بصوت مسموع ، لخيل اليه اذن انهما ميتان ٠٠ (١٢٢) وليس صدفة ان يبادر ابو قيس مباشرة اثر خروجه الى ان يستلقي « في ظل السيارة منبطحا على وجهه » (١٢١) وان يقف اسعد محمر الوجه وعلائم الصدأ المنطبعة على صدره تجعله يبدو « وكأنه ملطخ بالدم » ، ان يقف « هنيهة يتنشق بملء صدره » (١٢١) وان ينزل مروان الى الارض محمر العينين مصبوغ الصدر بالصدأ ليمدد جسده عليها واضعا رأسه « فوق فخذ ابي قيس » (١٢١ ــ ١٢٢) فالخزان المقفل الذي كانوا فيه يمثل انقطاعا كاملا عن الارض ، عن نبضها وعن رائحتها ، وفي ذلك يمثل خطرا يتنامى بالموت ، الذي يهدد الجميع انما على تفاوت اوضاعهم ، وليست اشكال الخروج واوضاع المسافرين بعدها الا تعبيرا عن هذا الخطر بالذات بتفاوت اثاره ٠

ان هذا الخطر نأجم عن انقطاع مكاني ، وزماني ايضا ٠ فبمقدار ما يمر من وقت على هذا الوجود في الخزان بمقدار ما يتفاقم الخطر بالموت ٠ وكنا قد اشرنا الى ان ابا الخيزران اثناء تفاوضه مع المسافرين الثلاثة على شروط « الصفقة » يحاول ان يوحي اليهم بأن العملية ــ تواجدهم في الخزان ــ لن تستغرق اكثر من خمس دقائق على كل من نقطتي الحدود في صفوان (العراق) والمطلاع (الكويت)٠ (٩٧ــ٩٨) الا انه عند تنفيذ العملية الاولى يستعمل رقما جديدا قائلا ان وجودهم في الخزان سيكون « لخمس دقائق او سبع »٠ (١١٥) وحين تنتهي العملية الاولى على الشكل المشار اليه آنفا نجده يعلن : « قلت لكم سبع دقائق ٠٠ ورغم ذلك لم يستغرق الامر اكثر من ست » (١٢٢) وحين يناقشه مروان في الامر مشككا فيما يدعيه يتدخل ابو قيس قائلا : « انها ست دقائق ٠٠ كنت طوال الوقت اعد ٠٠ من الواحد الى الستين : دقيقة ، هكذا حسبت ٠٠ عددت ست مرات ٠٠ في المرة الاخيرة عددت ببطء شديد ٠٠ » (١٢٣) ٠

نستنتج من ذلك ان العملية استغرقت اكثر من ست دقائق بالفعل ، وان لم تتجاوز السبع دقائق ٠ مع ذلك انتهى هؤلاء الثلاثة منها ــ على الاقل مروان وابو قيس ــ وهم على اخر رمق ٠

ما الذي يعنيه ذلك ؟

يعني ان الدقيقة السابعة هي دقيقة الموت في الوضع الذي يوجد فيه هؤلاء الفلسطينيون الثلاثة داخل خزان مقفل يتعرض لحرارة شمس قوية في منطقة صحراوية على الحدود العراقية ــ الكويتية ٠ انها دقيقة موت لا يصبح ناجزا الا باكتمالها ٠